

الأرابيسك الشعري عند عفيفي مطر وإيقاع نعليه كلام الحياة في

جسد العالم

والجراة هنا فيما نحسب تتمثل في تسمية من يهدى إليه الديوان، لكنها تسمية تعتمد النورية؟ فهل هو محمد رسول الله، أو الشاعر محمد عفيفي مطر؟ كلمات وأوصاف مثل "سيد"، "كلّ جنس"، "ممالكه"، "العالم"، ترشح الإشارة الأولى، وكلمات أخرى مثل "الصاعدة"، "الطلائع"، "إيقاع" قد ترشح الإشارة الثانية؛ خاصة عندما تقترب بما أصبحنا نألفه ولا بد لنا أن نصير عليه من نرجسية الشعراء الذين لا يتورعون عن اعتبار ذواتهم مركز الكون، فأى الاحتمالين أقرب إلى منطق النص وأسلوب الشاعر؟ أحسب أنّ هذا اللبس المقصود هو جوهر موقف الشاعر؛ فهو يعلن انتماءه إلى ذاته عندما يدعنا نفهم في لحظة خاطفة أنه يقصد كلاً من المعنيين في آن واحد. فمحمد الثاني بدل من محمد الأول، هذه روح التسمية، إنه قد أضمر فيه. بحيث صار يشتمل عليه، قد يشترّب ليتطابق معه، مثل بدل الكل، أو حتى ليستدرك عليه بعض ما فاتته. لكنه دائماً يستثيره ويستفزه، ويلعب معه ويستغفره. والإهداء لأى منهما جراءة ومخاطرة أمام الآخرين من القراء، الذين لا يشاركون الشاعر تماهيه مع الرسول أو تباهيه بذاته، وإن كانوا يفتنون لقصده في التموه والتورية.

الشاعر يحب التأويل ويعيش في رحابه، يتعشق القراءة ويوظفها في قصائده، وهو يمدّ خيطاً رقيقاً للقارئ، يساجله ويناوشه، يحجب طرفاً من المعنى ويظهر آخر، لكنه لا يذهب بعيداً في التعمية والتغيب، بل يظلّ في تلك المنطقة المقطرة المعطرة بين التعبير والتجريد. يقف على "أعراف الكلام" ينظر يمنة لأصحاب جنّة المجاز الشعري يطلب منهم بعض الماء، وينظر يسرة لأهل نار الحقيقة مبتعداً منها كى لا تلفحه. دون أن يوهم نفسه بالخلط بين الاتجاهات أو إلغاء الحواجز بينها وإنكارها. هذا النوع من الشعرية المترابحة بين العوالم القديمة والأساليب التي تتخلق في رحم المستقبل لا يصطنع عودة مفتلحة لشذرات مبتسرة من التراث، بل يصدر عنه تلقائياً في امتداد عضوى حى، لهذا يبرأ من التناقض عندما تتسجم عليه غلالته الشثيفة، تمتدّ أعراقه في الدّم الساخن الذبق، تنبعث خلاياه الحية في النسيج المتولد، لا يمكن له مثلاً أن يتصور الشعر خالياً من أرابيسك الإيقاع، ولا مفرغاً من صورة الذات المتكررة، ولا ممزق العبارة المتواردة. مهما استغرق في الاستبطان والطيران، يظلّ "تلاحم النص" الشعري ميزته التي تمنعه من التفتت، وتجسد "الحالة التصويرية" بؤرته التي تحوّل بينه